وضعية دراسات الشرق الأوسط في الجامعات الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م

دكتور/ مازن مطبقاني*

عناية الغرب بدراسة العالم ومعرفته قديمة جداً، وقد تمثلت في المدارس والمؤسسات الاستشراقية ومراكز البحوث المختلفة، ولكن الغرب تخلى عن اسم الاستشراق، وإن لم يتخل عن المضمون، فظهرت دراسات الشرق الأوسط أو الدراسات الإقليمية أو دراسات المناطق. وقد نالت هذه الدراسات عناية الولايات المتحدة الأمريكية خاصة بعد انحسار الإمبراطورية البريطانية واستعداد أمريكا لتحل محلها في مناطق نفوذها. فصدرت عدة مراسم حكومية أمريكية تدعم دراسات الشرق الأوسط أو دراسات الأقاليم، وهو الأمر الذي تميزت فيه الولايات المتحدة مما لفت أنظار اللجنة الحكومية البريطانية التي زارت أمريكا للاطلاع على هذه الدراسات وكانت برئاسة سير وليام هايتر Sir William Hayter

واستمرت عناية الحكومة الأمريكية بدراسات الشرق الأوسط حتى كانت لجنة الشؤون الخارجية في عهد السيناتور هنري جاكسون تستضيف العديد من أساتذة الجامعات الأمريكية والبريطانية لتقديم شهاداتهم في قضايا تخص المنطقة. ولقد استضافت هذه اللجنة المستشرق البريطاني (أصبح أمريكياً فيما بعد) برنارد لويس Bernard Lewis عام ١٩٧٤م، كما أن الكونجرس الأمريكي عقد عدة جلسات عام ١٩٨٥م لدراسة ما يسمى "الأصولية" في العالم الإسلامي.

وازدادت حاجة أمريكا لهذه الدراسات بعد حرب الخليج الثانية أو احتلال العراق الكويت عام ١٩٩٠م فزاد الدعم لهذه الدراسات وقدمت المنح التي كان بعضها مشروطاً في الخدمة في أجهزة الحكومة الأمريكية وبخاصة الاستخبارات. وقد أثار هذا الأمر اعتراض العديد من الأساتذة، ولكن الحكومة الأمريكية مضت في تمويل هذه الدراسات بطريقة مشروطة.

---

* قسم الدراسات الإسلامية ـ كلية التربية ـ جامعة الملك سعود ـ السعودية.

وبالإضافة إلى الحكومة الأمريكية فإن الحركة الصهيونية العالمية التفت إلى هذه الدراسات فزرعت فيها العديد من التلاميذ والأساتذة لتصدر الدراسات والمؤتمرات والندوات مؤيدة لوجهة النظر الصهيونية وليستمر الدعم غير المحدود لإسرائيل. كما أن بعض العرب والمسلمين قد قاموا بإنشاء كراسي للدراسات العربية الإسلامية، ولكنهم لم يحققوا النجاح الذي حققه الصهاينة، بل إن بعض هذه الكراسي كانت نتائجه عكسية.

وقد التحق بهذه الدراسات بعض الأساتذة العرب والمسلمين وحاولوا التأثير في هذه الدراسات من الداخل بأن تعرض قضايا المسلمين بطريقة حيادية ونزيهة، وأن لا يستمر النهج الاستشراقي القائم على تشويه الإسلام والمسلمين، وقد وصل الأمر إلى اغتيال بعض كبار الأساتذة من مثل إسماعيل الفاروقي وغيره. وقد كانت وجهة نظره أنه لا يمكن أن تنشأ دراسات محايدة في الولايات المتحدة الأمريكية.

لكن أمراً آخر حدث في هذه الدراسات وهو أنه ظهر إدوارد سعيد بكتابه الشهير (الاستشراق، عام ١٩٧٨م) ونشاطاته المتميزة في مجال القضية الفلسطينية، فأحدث بعض التغيير في هذه الدراسات، وقد انتقل هذا التأثير إلى رابطة دراسات الشرق الأوسط فبدأت تظهر فيها أصوات تتحدث عن الفلسطينيين بصفتهم شعب موجود أُخرج من أرضه وتعرض للقتل والسجن والتعذيب.

وعندما سقطت الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفيتي وانهارت الأنظمة في أوروبا الشرقية، وأعلنت نهاية الحرب الباردة ظهر في الغرب وبخاصة في أمريكا من ينادي باتخاذ الإسلام العدو الجديد بديلاً عن العدو السابق، وتولى كبر هذا الأمر عدد من المستشرقين على رأسهم برنارد لويس في محاضرته المشهورة في الكونجرس الأمريكي عن موقف العرب والمسلمين من الحضارة الغربية، ونشرها فيما بعد بعنوان صحفي مثير(جذور الغيظ الإسلامي) وشاركه عدد من الصحفيين وخبراء الشرق الأوسط من أمثال كرس كروهامر وغيره.

وجاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ليظهر تغير كبير في دراسات الشرق الأوسط أولها استمرار التركيز على اتهام الإسلام بالإرهاب، وتنال المملكة العربية السعودية نصيباً كبيراً من هذا الهجوم لمكانتها الخاصة في العالم الإسلامي، وازدادت صلة نموذج من المتخصصين في دراسات الشرق الأوسط يتبنون السياسات التي يتبناها المحافظون الجدد بالحكومة الأمريكية حتى أصبح هؤلاء الخبراء بالشرق الأوسط أو المستشرقون هم من يقدمون الغطاء الفكري للسياسة

الأمريكية في العالم العربي والإسلامي وبخاصة في احتلال العراق وضرب أفغانستان وغير ذلك من القرارات السياسية.

ولكـــن لم يقتصر الأمر على اتهام الإسلام بالإرهاب بل ظهر من ينادي بمراقبة دراسات الشرق الأوسط وإخراج النفوذ العربي من هذه الدراسات التي أخذت تتحدث بصراحة عن حقوق الفلســـطينيين، بعد عقود من إغفالهم بل والتجني عليهم. ويزعم أن هذه الدراسات قد فشلت في التنبؤ بوقوع هذه الأحداث وذلك في كتاب مارتن كريمر بروج عاجية على الرمال،(١)

ولم يتوقف الهجوم على الاستشراق أو دراسات الشرق الأوسط عند حد كتاب كريمر، بل إن دانـــيال بايـــبس المتخصص في دراسات الشرق الأوسط، ومؤسس مجموعة الشرق الأوسط في فيلادلفيا Middle East Forum أنشأ موقعاً في الإنترنت لمتابعة دراسات الشرق الأوسط ونشر في أوساط هـــذه الدراسات تشجيعاً لمن يقدم نقداً لأساتذة هذا الفن. كما ظهرت مجموعة يهودية في بوسطن تسمي نفســـها "مشروع ديفيد لتدريب القادة" أسهمت في دعم مشروع بايبس بمتابعة دراسات الشرق الأوسط ومراقبتها، ودعم وجهة النظر الإسرائيلية في أحداث الصراع الإسلامي الإسرائيلي في فلسطين.

وكتب نوفيل دو أتكن ودانيال بايبس مقالة طويلة بعنوان "دراسات الشرق الأوسط ما الخطأ الذي حدث؟" يتحدثان في المقالة عن العديد من القضايا في دراسات الشرق الأوسط وكأنهما يقدمـــان مـــرافعة عن عدد من الباحثين في دراسات الشرق الأوسط وعلى رأسهم برنارد لويس، وفؤاد عجمي، وجوديث تكر وغيرهم وتوجيه النقد العنيف الحاد لإدوارد سعيد، وإيفون حداد، وجويل بنينJoel Benin ، و رشيد خالدي، ويوسف مسعد وغيرهم.

وإن مـــن أخطر ما يتعرض له مجال دراسات الشرق الأوسط أن ينادي هؤلاء المحافظون الجـــدد أو المدافعون –بزعمهم– عن الموضوعية ومصالح الولايات المتحدة بإنشاء مجلس حكومي يقره الكونجرس الأمريكي ومجلس النواب لمتابعة دراسات الشرق الأوسط في الجامعات التي تحصل على دعم الحكومة الأمريكية.

هذا وسوف يتناول البحث هذا الموضوع في ثلاثة مباحث هي

المبحث الأول: الاستشراق الأمريكي قبل الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م

المبحث الثاني: محاربة دراسات الشرق الأوسط بعد الحادي عشر من سبتمبر٢٠٠١م

المبحث الثالث: ردود فعل الجامعات والأساتذة للهجوم على هذا المجال.

الخاتمة والتوصيات

المبحث الأول

الاستشراق الأمريكي قبل الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م

عندما تعرضت الولايات المتحدة الأمريكية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر بدأت الدولة العظمى في وضع لا تحسد عليه من الارتباك والعصبية والانفعال، هذا ما ظهر على السطح، ولكن الأمر الذي ظهر أن هذه الأحداث جاءت لتبرر لأمريكا تصرفاتها العسكرية في المنطقة مؤيدة بكتابات عدد من الباحثين المتخصصين في دراسات الشرق الأوسط، فكان غزو أفغانستان ثم تبعه التحرش بالعراق بأن لديها أسلحة دمار شامل ولا بد من تأديبها. وهنا قام عدد من الكتاب والباحثين والعلماء في العالم العربي بالكتابة عن السياسة الخارجية الأمريكية وارتباطها بالاستشراق. وكان رأي خيري منصور أن الاستشراق قد "عاد على طائرة ب ٥٢"([٢])، الذي يقول فيه "إن عودة الاستشراق الآن هي المرادف النّظري والمعرفي لعودة الاستعمار، بالرغم من أن كليهما كانا على وشك الغروب، وكتب يقول فيه:" قد يُعد من قبيل التغيير أيضا معرفة أن الإدارة الأمريكية قررت الإصغاء لآراء بعض المتخصصين من أمثال العجمي وبرنارد لويس (أشهر الغربيين الذين كتبوا عن الإسلام والعرب). ويضيف الكاتب بأنه يُذكر أن لويس قد تم استدعاؤه إلى البيت الأبيض سراً، لكي يجيب علي سؤال بوش: لماذا يكرهنا العرب والمسلمون؟"([٣])

فأي استشراق هذا الذي عاد وأي استشراق ذاك الذي ولّى؟ وأي استشراق هذا الذي يتعرض إلى هجوم قاس من قبل بعض المتخصصين في دراسات الشرق الأوسط وبخاصة من اليهود والمتصهينين؟

إن الاستشراق لم يغب حتى يعود مع احترامنا وتقديرنا لمن أبّنوا الاستشراق وأعلنوا وفاته. نعم تغير الاستشراق إلى حد ما وتطوّر وازدادت التخصصات العلمية التي تدخل في دراسة عالمنا العربي الإسلامي، وأخذ بعض الباحثين الغربيين وبخاصة الأمريكيين يتنازلون عن الروح الإمبريالية، ورفض بعضهم أن يُستخدم لفرض الهيمنة والسيطرة الأمريكية بخاصة والأوروبية بعامة على العالم الإسلامي.

لكن كثيراً من أقسام دراسات الشرق الأدنى والأوسط ما تزال تعمل بكل قوة على استمرار النهج الاستشراقي القديم فالمصادر الأساسية للباحثين والطلاب في أقسام دراسات الشرق الأوسط إنما هي كتب إجناز جولدزيهر، وجوزيف شاخت، ومارجليوت، وهاملتون جب،

وجوستاف فون جرونباوم. ومايكال كوك، وإبراهام يودوفيتش، وفاتيكيوتس، وسنوك هورخرونية، ونيكلسون وتوماس آرنولد، وغيرهم. ومن يرغب في التأكد من هذه المعلومات فعليه أن يدخل إحدى المكتبات التجارية الملحقة بالجامعات الأمريكية ليقرأ عناوين الكتب المقررة على طلاب أقسام دراسات الشرق الأوسط أو الأدنى. وقد تساءلت ذات مرة ألم يكتب في اللغة الإنجليزية كتاب بعد كتاب توماس آرنولد الذي نشر أول مرة عام ١٩٠٧م؟ والموضوعات المختارة للدراسة هي عينها التي درسها المستشرقون والآراء حول القرآن والسنة إنما هي آراء المستشرقين القدامى مع بعض الإضافات التي تناسب العصر في الطريقة والأسلوب(٤).

والاستشراق أو دراسات الشرق الأدنى في الجامعات الأمريكية تغلغل فيها النفوذ اليهودي ونفوذ جماعات الضغط الصهيونية منذ عهد بعيد فهاهي الجماعات اليهودية تدخل الجامعات الأمريكية من خلال الطلاب والأساتذة؛ فقد استطاع اللوبي اليهودي الصهيوني أن يوزع ما بين ثلاثة إلى خمسة آلاف طالب على الجامعات الأمريكية في الولايات جميعها وذلك ليحققوا للصهاينة اليهود معرفة عميقة بهذه الأقسام، ومن فيها من الأساتذة وكذلك ما يتم فيها من نشاط علمي منهجي ولا منهجي (٥).

ومن هذه النشاطات أن قامت منظمة إيباكAIPAC (اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة) عام ١٩٧٩م بتأسيس "برنامج تطوير القيادة السياسية" "لتعليم القادة الشباب وتدريبهم على ترويج المواقف المؤيدة لإسرائيل" وتم استقطاب مئات من الطلاب لجمع معلومات حول الأساتذة المؤيدين لفلسطين والمنظمات الطلابية" وبحلول عام ١٩٨٣م انضم للبرنامج أكثر من خمسة آلاف طالب ينتمون إلى ثلاثمائة وخمسين جامعة في الولايات الخمسين، ونشر نتائج نشاط الطلاب ضمن منشورات الإيباك (٦).

ولا يتوقف الأمر على الطلاب فهناك عدد كبير من الأساتذة ذوي الميول اليهودية الصهيونية ينتشرون في معظم الجامعات الأمريكية، ومراكز البحوث والمعاهد العلمية ومراكز التفكير (Think Tanks)، وبالإضافة إلى الأساتذة المقيمين فهناك عدد كبير من الأساتذة الزائرين من إسرائيل الذين لا تكاد تخلو منهم الجامعات الأمريكية والأوروبية. وفوق ذلك كله فإن الحضور الإسرائيلي في المؤتمرات الدولية والمحلية والإقليمية أمر لا يحتاج إلى دليل. ومن الأمثلة على ذلك أن إسرائيل أرسلت أكثر من أربعين باحثاً بالإضافة إلى اليهود من الجامعات الأوروبية

والأمريكـــية إلى المؤتمر العالمي الخامس والثلاثين حول الدراسات الأسيوية والشمال أفريقية الذي عقد في بودابست عاصمة المجر عام ١٩٩٧م. وهذا دأبهم في غيره من المؤتمرات والندوات الدولية.

وقد أشار إدوارد سعيد إلى النفوذ الصهيوني في الجامعات الأمريكية وضرب المثال بجامعة برنســتون حيــث كتب يؤكد على أن القسم ليس فقط خاضع لسيطرة أشخاص يتعاطفون مع الصــهيونية، وإنمــا أيضــاً بســيطرة أساتذة نشيطين في المعركة السياسية الدائرة بين الصهيونية والفلسطينيين(٧).

والســيطرة الصــهيونية اليهودية في مجال الدراسات العربية الأمريكية لا نحتاج فيها إلى شهادة إدوارد سعيد، مع أن شهادته تستحق الاحترام والتقدير والثناء، ولكن لنذكر بسرعة كتاب بــول فندلي "من يجرؤ على الكلام؟" الذي تناول فيه في فصلين سيطرة اليهود الصهاينة على هذا المجال، وكذلك محاربتهم لأي توجه لتقديم عرض متوازن لقضايا العالم العربي الإسلامي في الجامعات الأمريكــية ومــثال ذلك ما حصل للدكتورة شيلا سكوفيل في جامعة أريزونا بمدينة توسان حتى اضطرت للاستقالة وربما مغادرة الولايات المتحدة الأمريكية(٨).

وقــبل أن تسقط الشيوعية بسنوات بدأت الدراسات الاستشراقية تهتم بما يسمى ظاهرة "الأصــولية الإسلامية" فظهر كتاب توماس و. ليبمان Thomas W. Lippmon بعنوان (جماعات الإسلام السياسي:رؤية أمريكية وثائقية) عام ١٩٨٢م أشار مقدم الكتاب Malcolm C. Beck إلى قلة المعلومات عن الإسلام وثقافته وعقائده حيث يقول: "فإن الإسلام اليوم قوة أساسية يدين به خمس سكان العالم، ومن الخير للأمريكيين أن يتفهموا على نحو أفضل عقيدة وثقافة لا يزالون حتى الآن لا يعرفون عنها إلاّ النذر اليسير"(٩)

وبعــد سنوات من هذا الكتاب ظهر كتاب البروفيسور ريتشارد هرير دكمجيان أستاذ العلــوم السياسية بجامعة جنوب كاليفورنيا بالتعاون مع عدد من الباحثين حول الأصولية في العالم العــربي(١٠). كمــا عقد الكونجرس الأمريكي جلسات عديدة في صيف وخريف عام ١٩٨٥م لدراســة الأصولية في العالم الإسلامي وكان من أبرز من شارك فيها عدد كبير من الباحثين.(١١) وبدأت جامعة شيكاغو بمشروع ضخم لدراسة الأصولية في الأديان الثلاثة.(١٢)

وعــندما سقطت الشيوعية وهاوت الأنظمة الشمولية في أوروبا الشرقية بدأت أمريكا بصــفة خاصــة البحــث عــن عــدو جديد، ولعل من أقدم من تناول هذا الأمر القس سبايت

Reverend Marston Speight في نشـــرة موجـــزة حذر فيها من مغبة اتخاذ الإسلام العدو الجديد، وأشار إلى بعض الكتاب الأمريكيين الذين اهتموا بهذا الجانب (١٣).

وكـــأن سقوط الشيوعية أعطى الجامعات الأمريكية الضوء الأخضر للتركيز على دراسة الإسلام وبخاصة ما يطلقون عليه "الأصولية" الإسلامية، أو الإسلام السياسي. ولم يقتصر الأمر على الجامعات ومراكز البحوث، بل انتقل هذا الاهتمام إلى الصحافة حتى كتب الدكتور حسن عزوزي عـــن استشراق جديد أطلق عليه "الاستشراق الإعلامي" حيث أكد بأن الاستشراق الإعلامي إنما هـــو "أحد إفرازات المؤسسة الاستشراقية الحديثة فينضوي تحت لوائها عدد هائل من الصحفيين المختصـــين في شؤون الإسلام والمسلمين" ويضيف عزوزي بأن الأكاديميين قد "ساهموا بشكل أو بآخـــر في تكوين وتأهيل أولئك الصحافيين الذين ما فتئوا يقتاتون على موائدهم ويتزودون منها بأفكارهم وطروحاتهم الواهية."(١٤)

ومن أول من استغل سقوط الشيوعية ليحرض الولايات المتحدة الأمريكية على الإسلام والمسلمين المستشرق المشهور برنارد لويس، في الثاني من مايو ١٩٩٠م دُعي لإلقاء محاضرة توماس جيفرسون في الكونجرس الأمريكي بعنوان: "موقف المسلمين من الحضارة الغربية" وكال فيها التهم للإسلام والمسلمين أنهم يرفضون الحضارة والتحديث، وأنهم يعادون الغرب(١٥). ولعل لويس رأى أن تأثير المحاضرة لن يكون كبيراً فانتقل لنشر أفكارها في مقالات صحفية فكانت مقالته في إحدى المجلات واسعة الانتشار بعنوان "جذور الغيظ الإسلامي" التي يرى العديد من الباحثين أنها الأصل الـــذي انطلـــق منه صموئيل هنتنغتون في ما أطلق عليه فيما بعد نظرية "صدام الحضارات" بينما الحقـــيقة أن لويـــس تحدث عن صدام الحضارات منذ مدة طويلة تعود إلى الستينيات حينما دُعي ليحاضر في جامعة أوكلاهوما(١٦)

واستمرت الدراسات العربية الإسلامية أو الاستشراق في التسعينيات تتسم بالحديث عن العـــدو الجديـــد أو عن نهاية العالم أو صدام الحضارات أو نهاية العالم – في نظرية فوكوياما– مع الاستمرار في الاستعانة بعدد من الباحثين العرب والمسلمين الذين يغلب عليهم الاتجاه اليساري أو العلمانـــية والتغرب. ولم يقدموا الكثير للدراسات العربية الإسلامية. وقد استمر تدريس الإسلام على أيدي أساتذة أمريكيين أو غيرهم بينما لم تتح الفرصة لعلماء مسلمين معتدلين تدريس الدين الإســـلامي(١٧). وفي لقـــاء مع رئيس قسم دراسات الأديان بجامعة ديوك الأمريكية في القنصلية

الأمريكـــية بجدة سئل عن سبب عدم قيام أساتذة مسلمين بتدريس الإسلام، فكان الجواب الجاهز أنهم يتخوفون من أن يقوم الأستاذ بالوعظ ويبتعد عن المنهج العلمي، وسئل أيضاً عن عدم تدريس بعض الكتب التي ألفها مسلمون باللغة الإنجليزية وبخاصة كتب الدكتور إسماعيل الفاروقي رحمه الله فقال إن هذه الكتب صعبة أو أعلى من مستوى الطلاب.(١٨)

وحـــتى عـــندما حاول جون اسبوزيتو أن يناقش مسألة ما يسمى "الخطر الإسلامي" في كتابه "الخطر الإسلامي بين الحقيقة والوهم" ، وكذلك عندما كتب إدوارد دجيرجيان مؤكداً أن الإســـلام لـــيس عدواً للغرب فالإسلام –في نظره– دين عظيم وقد أفادت الحضارة الغربية من المســـلمين وحضـــارتهم، وإنمـــا الغرب يعادي الحركات المتطرفة، هنا انبرى دانيال بايبس لينتقد اســـبوزيتو ودجيرجـــيان بعنف قائلاً :"هل هما على حق؟ أو هل يشبهان ذلك النوع من خبراء الحكومـــة الذين لا يستطيعون رؤية العدو حتى يحس باللكمة على وجهه؟" ويضيف متسائلاً أن ما يخيف الغرب هو الطوفان الثقافي للمهاجرين المسلمين إلى أوروبا وأمريكا أكثر مما تخيفهم الصواريخ الإسلامية وأخذ الرهائن.(١٩)

المبحث الثاني

محاربة دراسات الشرق الأوسط

بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م

تعـــرض الاستشـــراق أو الدراسات الإقليمية لنقد عنيف وحرب سافرة من قبل بعض الجهـــات في الولايـــات المتحدة الأمريكية، إما لأن القائمين على هذه الحرب يسعون إلى تصفية حســـابات قديمة فوجدوا أن الفرصة مناسبة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، وإما لأن هذه الدراسات قد خرجت بالفعل من أيدي الحركة الصهيونية أو المدافعين عن إسرائيل. وكان أول أســـباب هـــذا الهجوم أن الدراسات الشرق أوسطية – في نظر المحاربين لها–لم تفلح في تنبيه أمريكا إلى إمكانية وقوع تلك الأحداث من قبل من نُسبوا إلى الشرق الأوسط بعامة وإلى المملكة العربـــية الســـعودية بخاصة. أو أن الحركات الإسلامية التي كان من المطلوب القضاء عليها قضاءً مـــبرماً زادت قـــوة وانتشاراً في أنحاء العالم الإسلامي حتى وصل تأثيرها إلى الغرب نفسه. أو أن

الصورة التي نقلتها دراسات الشرق الأوسط عن عالم مسالم يدعو إلى التعددية والحرية والديمقراطية ليس له وجود إلاّ في دراسات الشرق الأوسط الفاشلة.(٢٠)

والعجيب أن أول هجوم تعرضت له دراسات الشرق الأوسط كان في كتاب مارتن كريمر الذي قضى معظم حياته العلمية في إسرائيل كان آخرها مديراً لمركز موشيه ديان لدراسات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في كتاب صدر بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بشهر واحد. وهذا يدل على أن الكتاب لم يتم إعداده خلال شهر وإنما وقوع الأحداث هو الذي عجل في صدوره.

والاستشراق الذي ازداد الهجوم عليه إنما هو الاستشراق الذي يحاول أن يقدم وجهات نظر متوازنة حول القضية الفلسطينية وما تقوم به إسرائيل من أعمال وحشية ضد المواطنين الفلسطينيين من قتل وتشريد وهدم البيوت، وبناء جدار الفصل العنصري، والإصرار على قتل كبار قادة المنظمات الإسلامية. والاستشراق الذي يهاجَم هو الاستشراق الذي ينادي بعدم اعتبار كل المسلمين أعداء للغرب وأعداء للحضارة والتحديث. والاستشراق الذي يهاجَم هو الاستشراق الذي يرى أن الإسلام يملك المقومات الفكرية والسياسية والنظام الاجتماعي والثقافي في مواجهة العولمة والتغريب والأمريكية؛ إن أي صوت معتدل في مثل هذه القضايا يتعرض للنقد الشديد وتسفيه الرأي والمحاربة.

لقد شن عدد من الباحثين الأمريكيين والإسرائيليين الهجوم على دراسات الشرق الأوسط، وهم وإن كانوا قلة في العدد لكن صوتهم كان عالياً ونفوذهم لدى الأوساط السياسية الأمريكية كبير جداً. وفيما يأتي ننقل بعض ما قالوه في نقد هذه الدراسات. يرى البعض إن أول من أعلن الهجوم على دراسات الشرق الأوسط هو مارتن كريمر **Martin Kramer** (٢١)في كتابه بروج عاجية على الرمال:فشل الدراسات الشرق أوسطية في أمريكا حيث يتكون كتابه من خمسة فصول منها فصل خاص بالتأثير الحاسم لكتاب إدوارد سعيد الاستشراق، كما تناول الفجوة بين الأكاديميين وصنّاع القرار في الولايات المتحدة، وفي الفصل الثالث والرابع تناول ما أسماه الأخطاء الجماعية للخبراء في تقويمهم للحركات الإسلامية والمجتمع المدني. وفي الفصل السادس تناول بالتحليل أسباب فشل هذه الدراسات في كسب المؤسسات الخيرية والجمهور في الثقة بالدراسات الأكاديمية حول الشرق الأوسط.(٢٢)

ولّما كان إدوارد سعيد من أبرز المتهمين في التأثير في الدراسات الشرق أوسطية فقد أفرده كريمر بفصل كامل بعنوان (لطخة سعيد) تناول علاقة إدوارد سعيد بدراسات الشرق الأوسط وكيف أنه بدأ حياته في النقد الأدبي، ثم رحلاته إلى الأردن وعلاقته بالحركة الوطنية الفلسطينية. ثم انتقل إلى كتاب سعيد (الاستشراق) وقدم نقداً واسعاً لهذا الكتاب مستشهداً ببعض المستشرقين الذين انتقدهم سعيد في كتابه، وذكر منهم برنارد لويس ومونتجمري وات وماكسيم رودنسون، وجاك بيرك وغيرهم، واستشهد بما قاله كل من جاك بيرك وبرنارد لويس. ولعل أكثر ما أزعج كريمر أن كتاب إدوارد سعيد كان سبباً في ظهور العديد من الكتب التي تنتقد الاستشراق وكان مما قاله كريمر :"لقد أصبح كتاب سعيد من أكثر الكتب مبيعاً، ونصاً مقدساً لما سُمّي بحقل دراسات ما بعد الاستعمار، وقد اقتبس منه بلا حدود.بل أصبح في نظر المؤرخ الأمريكي ديفيد جوردون "ظاهرة" وانتقل ليصبح في قمة الكتب حول دراسات الشرق الأوسط."([٢٣])

كما ألقى مارتن كريمر وليزا أندرسون([٢٤]) محاضرة تناولا فيها أوضاع دراسات الشرق الأوسط، وقد جاء في حديث كريمر قوله: " في العشرين سنة الماضية، فشل خبراء الشرق الأوسط في شرح السبق إلى أحداث تغيير في المنطقة التي يدعون أنهم يدرسونها، وهذه الهزيمة لافتقارهم إلى البعد الفكري، وكذلك إلى الخراب الذي حلّ بهذا الحقل بسبب الأيدلوجيات المستعارة أو نماذج الهواة"([٢٥])

وأكدت ليزا أندرسون–أستاذة العلوم السياسية والمتخصصة في الشرق الأوسط– أن كتاب كريمر على الرغم مما فيه من مبالغة لكن حقل دراسات الشرق الأوسط كان يعاني من عيوب مختلفة ومنها على حد قولها:" لم يعد الحقل أكثر تطابقاً من أي فرع آخر في العلوم الأكاديمية، فالبعض في هذا الحقل يعارضون بقوة وجهات النظر التحليلية وسياسة الحكومة."([٢٦])

موقع مراقبة الحرم الجامعي www.campus-watch.com

بدأ هذا المشروع بصفته جزءاً من مجموعة الشرق الأوسط ليراجع وينتقد دراسات الشرق الأوسط في أمريكا الشمالية بهدف تحسينها. ويناقش المشروع خمس مشكلات هي: الفشل التحليلي،والخلط بين السياسة والبحث العلمي، وعدم التسامح مع الآراء المخالفة، والمواقف الاعتذارية وسوء استخدام السلطة على الطلاب." ويضيف التعريف بأن الموقع يحترم حرية التعبير لأولئك المشاركين في هذا المجال كما يحتفظ لنفسه بالحرية أن يناقش ما يقولونه"([٢٧])

انطلق موقع على شبكة الإنترنت يدعو طلاب أقسام دراسات الشرق الأوسط بالتجسس والإخبار عن الأساتذة الذين ينتقدون إسرائيل أو يقدمون –حسب رأيهم– آراء متحيزة للمسلمين حول الشرق الأوسط والإسلام وقضايا السياسة الخارجية الأمريكية. وقد بدأ الموقع بالفعل الإعلان عن أن ثمانية أساتذة وأربع عشرة جامعة هم ممن تنطبق عليهم هذه الصفات(٢٨). ومن هؤلاء الأساتذة: الدكتور رشيد خالدي الذي تولى منصب كرسي إدوارد سعيد في جامعة كولومبيا؛ فقد أورد موقع (مراقبة الجامعات **Campus-watch**) قصة خبرية منقولة عن جريدة **New York Sun** تصف الخالدي بأنه أستاذ الكراهية(٢٩).

ولعل الأخطر أن يصبح الطلاب عيوناً للاستخبارات الأمريكية في الفصول الدراسية، وهذا ما يقوله عبد الوهاب الأفندي في مقالته ذات العنوان المعبر "الاستشراق مازال حيّاً ونشطاً في العراق": إذ يقول: "لن يكون المشاركون في هذه البرامج متحمسين للعمل في الاستخبارات ووزارة الدفاع، بل يفضلون العمل في الخطوط الأمامية لإعادة الاستعمار، بل يريدون أن يأتوا بالاستخبارات الأمريكية وكل الجيش إلى الفصول الدراسية"(٣٠).

موقع مشروع ديفيد

تأسس مشروع داود عام ٢٠٠٢م بهدف تعليم وتدريب الطلاب والمجتمع اليهودي بعامة حول إسرائيل وهدفنا –كما يقول التعريف– للترويج لفهم متوازن وأمين لمشكلة الشرق الأوسط وفي الوقت نفسه معارضة معاداة السامية العالمية والهجوم الأيديولوجي ضد إسرائيل.([٣١])

وفي موقع "مشروع ديفيد" نجد التعريف بالموقع يركز على أن بعض الأساتذة –في نظر الموقع– يروجون لتعليم متحيز وينكرون عرض الآراء المعارضة في الفصل الدراسي. ويرون أن مشروعهم إنما جاء لتأكيد قيم التسامح والتعددية والمجتمع المدني على أنها متطلبات أساسية لتحقيق سلام حقيقي ([٣٢]).

ولم يتوقف الأمر عند الكتابات فقد قامت مجموعة ديفيد بإعداد فيلم عن دراسات الشرق الأوسط في جامعة كولومبيا وذلك من خلال عدد من المقابلات مع عدد من الطلاب الذين يدرسون هذا المجال، كما أن الفيلم استضاف عدداً من الأساتذة ورئيس معهد دراسات الشرق الأوسط البروفيسور ريتشارد بوليت **Richard Bulliet** الذي أكد بأنه لا يوجد أي مادة دراسية تحرم الطلاب من الفرص ليتعلموا عن الشرق الأوسط من وجهة نظر إسرائيلية، أو على

الأقـــل مـــن وجهة نظر حيادية، بل إنه في وقت من الأوقات كان هناك حبر يهودي من إنجلوود Englewood يدرس مادة حول الصراع في الشرق الأوسط من وجهة نظر إسرائيلية. والآن يدرس المادة أستاذ فلسطيني هو يوسف مسعد الذي يصرح من اليوم الأول للطلاب بأن لا يتوقعوا عرضـــاً متوازناً للصراع العربي الإسرائيلي، بل هذا الأمر موجود في تفاصيل المنهج الذي يقدمه للطلاب.(٣٣)

أمثلة على المضايقات التي تعرض لها بعض الأساتذة:

بـــدأ موقع Campus-Watch بوضع ملفات حول ثماني أساتذة زاعماً أن هؤلاء الأساتذة حريصون على نقد السياسة الخارجية الأمريكية والاحتلال الإسرائيلي، وهنا قام أكثر من مائة أكاديمي بطلب إضافة أسمائهم. ومنذ ذلك الحين أضاف بايبس ستة وأربعين ومائة اسماً جديداً وكلهم في نظره مؤيدون للهجمات الانتحارية والإسلام الحربي.

ومـــن الأســـاتذة الذين تعرضوا لهجوم هذا الموقع وهذه الحملة البروفيسور جوان كول Juan Cole أستاذ التاريخ بجامعة ميتشيجان حيث تسلّم الآلاف من رسائل الكراهية، والسبب في ذلـــك أن ملفـــاً للبروفيسور كول قد وضع في موقع كامبس واتش، ويقول بايبس إنه أصيب بالصـــدمة! وتسخر كاتبة المقالة من أسلوب دانيال بايبس بقولها: "إن بايبس يتلاعب بالكلمات، ويقتبس من كتابات الآخرين خارج سياقها، ويلوي أعناق الحقيقية لتناسب ما يهدف إليه"(٣٤).

ومـــن الجهات التي سارعت إلى الإدعاء بالدفاع عن المصالح القومية ما قام به ما يسمّى" المجلـــس الأمـــريكي للأمـــناء والقدامى American Council of Trustees and Alumni (ACTA)والـــذي قامت بتأسيسه لين تشيني Lynne Cheney زوجة نائـــب الرئـــيس الأمريكي جورج بوش وذلك حينما نشرت تقريراً في نوفمبر ٢٠٠١ بعنوان " الدفاع عن الحضارة: كيف تخذل جامعاتنا أمريكا وما الذي نستطيع أن نفعله حول ذلك"(٣٥).

المبحث الثالث

ردود فعل الجامعات والأساتذة للهجوم على هذا المجال

لمّا كان أبرز الجهات التي تعرضت للهجوم هي رابطة دراسات الشرق الأوسط فلم يكن من المنطقي أن تقف الرابطة ممثلة في أكثر من رئيس من رؤسائها وأساتذة دراسات الشرق الأوسط ولا الباحثين في العالم العربي الإسلامي مكتوفي الأيدي من هذا الهجوم على دراسات الشرق الأوسط، بل ظهرت العديد من الكتابات تتناول هذه القضية وتدافع بحرارة عن هذا المجال المعرفي المهم. وسوف نستعرض في الصفحات القادمة بعض هذه الكتابات.

هوية المهاجمين لدراسات الشرق الأوسط

لقد حاول الذين ردوا على الهجوم على دراسات الشرق الأوسط أن يوضحوا هويات أولئك الذين هاجموا هذه الدراسات وانتماءاتهم الفكرية والسياسية، ثم تحدثوا عن أسباب هذا الهجوم.

فمن ناحية هويات هؤلاء فهناك من يرى أنهم في الغالب ينتمون إلى تيار اليمين المحافظ وهذا ما يقوله جويل بنين "إن الذين هاجموا رابطة دراسات الشرق الأوسط هم في الغالب من المحافظين الجدد والمؤمنين حقاً بالارتباط باليمين الإسرائيلي"(٣٦). ويصفهم بنين بأنهم يميلون إلى الاعتقاد بأن عبارات مثل "الحرب على الإرهاب"، "صدام الحضارات" و "محور الشر" هي تفسير جدي لما يحدث في الشرق الأوسط المعاصر. ويضيف بأنه من حقهم أن يحملوا هذه الآراء وبالتأكيد ليس لديهم نقص في فرص التعبير عن هذه الآراء، ولكن ما لا يمكن قبوله هو مصادرة حق الآخرين في إبداء آرائهم(٣٧).

ويضيف بنين أن معظم الذين يهاجمون رابطة دراسات الشرق الأوسط والأفراد الذين يوصمون بأنهم معارضين سياسيين يقضون معظم أيامهم في مراكز تجهيز القرار السياسي (**Think Tanks**) حيث يدفع لهم لارتباطاتهم بصناع السياسات الخارجية وصانعي الرأي العام، وهم يكتبون في الغالب ما يسمى **op-ed** وقطع وضع السياسات. إنهم في أغلب الأحيان لا يشاركون في البحث العلمي الجاد أو النشاطات المعروفة كالتعليم والبحث. إن هؤلاء الأفراد في الغالب يقبعون في أقصى يمين القاعدة السياسية للرئيس الأمريكي بوش.(٣٨)

وكتب جوان كول Juan Cole يصف هؤلاء بالمحافظين الفارغين الذين يقومون بحرب عصابات ضد رابطة دراسات الشرق الأوسط وركز في هجومه على ستانلي كيرتز Stanley Kurtz الذي يرى أنه ليس متخصصاً في دراسات الشرق الأوسط حيث لا يعرف أي لغة من لغات الشرق الأوسط لا العربية ولا الفارسية، وأن كيرتز كاتب عمود في مجلة ناشيونال ريفيو National Revieوكان يعمل في معهد هوفر Hoover Institution، وانتقل إلى معهد هدسون Hudson Institute الذي له روابط مع اليمين الإسرائيلي. وأوضح جهل كيرتز بما تقوم به رابطة دراسات الشرق الأوسط من أعمال.(٣٩)

وتصف مريام كوك هؤلاء بأنهم من المحافظين الجدد والباحثين في الشرق الأوسط وجنوب آسيا المؤيدين لإسرائيل، وينتمون لمراكز التفكير (Think Tank) المحافظة وليس لأي منهم ارتباط رسمي بجامعة من الجامعات. ويرتبط بمشروع مراقبة الجامعات أساتذة من أمثال جاري هل Gary Hull أستاذ علم الاجتماع بجامعة ديوك. وتختم مريام مقالتها بالمطالبة بضرورة التصدي لمشروع مراقبة الجامعات، وتصفه بأنه تهديد لأسس التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية، وأن حقوق الإنسان والحرية والديموقراطية لا يمكن أن تعيش دون أن يكون هناك حواراً مفتوحاً حول معانيها.(٤٠)

أسباب الهجوم على دراسات الشرق الأوسط وتفاصيله

يرى بنين Beinin أن نقد دراسات الشرق الأوسط ينطلق من سوء فهم لتاريخها فهذه الدراسات لم تبدأ في أثناء الحرب الباردة، ولكنها بدأت قبل ذلك بكثير فهي قد بدأت في العشرينيات من القرن الماضي حيث تأسس معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو عام ١٩١٩م، بينما تأسس قسم دراسات الشرق الأوسط في برنستون عام ١٩٢٧م على يدي فيليب حتي.

أما بالنسبة لموقف الحكومة المؤيد لهذا الهجوم أو على الأقل المتضامن مع هذه الحملة فيرى بنين أن الذين يملكون السلطة قد حاولوا دوماً أن يفرضوا أجندة فكرية موافقة لمصالحهم على شعوبهم ويعرف ذلك طلاب تاريخ الشرق الأوسط كيف أن المأمون والمعتصم أرادوا فرض فكرة المعتزلة على الشعب. ثم يؤكد أنه على الحكومات أن تظل بعيدة إلى حد ما عن الحياة

الأكاديمية. وسيكون هناك العديد من الباحثين الذين انطلاقاً من اختيارهم الحر أن يخدموا مصالح الدولة القائمة حتى لو كان المحفزات متواضعة.(٤١)

ويرى بنين أن فشل المكارثيين الجدد في سوق الأفكار أدى بهم إلى السعي إلى استخدام قوة الدولة لكبت الفكر الواضح والصريح، وبالتالي فهذه المعركة معركة سياسية وليست نقاشاً علمية أكاديمية.(٤٢)

وكتبت جنيفر جاكوبسون تناقش الذين يطالبون أن تكون المعونات الحكومية لبرامج دراسات الشرق الأوسط فقط لخدمة أهداف الحكومة بقولها: "إن هؤلاء يريدون أن تكون أموال الحكومة فقط للبرامج التي تخدم أهدافها وتؤيد سياستها، في حين أن الجامعات ترى أنها تخدم الحكومة وليست بحاجة إلى من يأمرها بذلك؛ فجامعة بورتلاند الحكومية مثلاً يعمل نصف خريجيها في الحكومة". وتتوقع جنيفر أن المجلس المقترح سيكون في يد المجموعة الحاكمة(٤٣).

وقد بدأت المؤسسات الصهيونية واليهودية في أمريكا في مراقبة دراسات الشرق الأوسط وأصدرت بعض الكتيبات حول الدعاية المؤيدة للعرب- في نظرهم- عام ١٩٨٣م والإيباك بدأت نشاطات أكبر بعد ١٩٨٣م. ولكن رابطة دراسات الشرق الأوسط ناقشت هذه الإصدارات في مؤتمرها السنوي عام ١٩٨٤ وقررت أن هذه التقارير والكتيبات غير دقيقة وغير متوازنة وليس فيها أدلة حقيقية.

ويناقش بنين أسباب الهجوم على أعضاء رابطة دراسات الشرق الأوسط من قبل الخبراء المحافظين بخصوص ما وقع في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ولا يجرؤون مطلقاً على الحديث عن مسؤولية المباحث الفدرالية FBI أو وكالة الاستخبارات المركزيةCIA لما وقع ، ويتساءل هل لأننا فشلنا في تحذير الجمهور الأمريكي حول مخاطر الإسلام المتطرف. إنهم لا ينظرون إلى أن الرئيس بوش يمكن أن يكون مسؤولاً لفشله في مواجهة التهديدات الإرهابية في الصيف الذي سبق الحادي عشر من سبتمبر.(٤٤)

ويرى المنتقدون لهذا الهجوم على دراسات الشرق الأوسط وبخاصة موقع (مراقبة الجامعات) أن من أهدافهم تدمير الحياة العلمية والأكاديمية لمن يخالفهم الرأي، وبالرغم من أن بايبس Pipes قد نفى عن نفسه هذا الهدف إلاّ أن هذا هو الهدف الحقيقي، وقد أكد هذا الأمر أكثر من باحث، بل إن تشويه السمعة ليس هو الهدف النهائي؛ فهناك من يرى أن بايبس إن نجح

في تشويه السمعة من خلال الضغط على إدارات الجامعات، والطلاب وأولياء أمور الطلاب، وإلغاء مصادر التمويل حتى إن البعض في المجال الأكاديمي يرون أن الأمر قد يتطور إلى جمع الأدلة والاتهامات وإيصالها إلى وزارة العدل الأمريكية بهدف توجيه الاتهامات التي يعاقب عليها القانون ضد هؤلاء العلماء وفقاً للمرسوم الأمريكي لحماية الوطن ([٤٥]).

وعن نتائج هذه الحملة وهل نجحت في تحقيق أهدافها فيرى البروفيسور زخاري لوكمان Zachary Lockman أن هذه حملة أيديولوجية لإعادة تشكيل دراسة الشرق الأوسط في أمريكا، وأنها بدأت بالفعل تؤتي ثمارها حيث أصدر مجلس النواب تشريعاً يفرض على الجامعات التي فيها مراكز لدراسات الشرق الأوسط أن تعقد حلقات حول سياسة الولايات المتحدة الخارجية من وجهات نظر متعددة، وبخاصة أن هذا التشريع جاء بعد انتقاد المحافظين لسوء استخدام الأموال الفدرالية من قبل بعض المتشددين في انتقاد السياسة الخارجية لأمريكا. وقد عقد الكونجرس جلسة في شهر يونيه عام ٢٠٠٣م، للاستماع لشهادات حول برامج التعليم لعالي الدولية وقضايا التحيز. وقد كان أبرز الشهود في هذه القضية ستانلي كيرتز (أحد أبرز المهاجمين لدراسات الشرق الأوسط)([٤٦])

وأيد لوكمان كريمر بأن التبرعات الكبيرة لدراسات الشرق الأوسط قد تكون مشروطة بشروط خفية أو معلنة، وأن هذا يؤثر في مسألة تعيين أعضاء هيئة التدريس أو المناهج والبرامج. وقد تسلمت العديد من الجامعات تبرعات كبيرة وهبات من شخصيات عربية من الأسر الحاكمة في دول الخليج لتمويل كراس أو برامج في الدراسات العربية والإسلامية. ولكن لم يتضح أن هذه التبرعات لم تحدث تأثيرات غير مناسبة في المستوى التعليمي في هذه المعاهد. وعلي أي حال فإن الجامعات الأمريكية قد قبلت تبرعات كبيرة من أجل إنشاء دراسات يهودية أو برامج دراسات إسرائيلية من شخصيات يهودية أو غير يهودية يؤيدون إسرائيل بقوة."([٤٧])

ولكن من خلال متابعة دراسات الشرق الأوسط والدراسات العربية والإسلامية في الغرب نجد أن بعض التبرعات العربية تذهب إلى جامعات تقوم بتعيين أشخاص في هذه الكراسي لا يخدمون الهدف الحقيقي من نشر الثقافة العربية الإسلامية، بل ربما أساؤوا إلى العرب والمسلمين. ومن الأمثلة على ذلك أحد كرسي الدراسات الإسلامية والحضارية في لوس أنجلوس يتسنمه

شخص يعادي الإسلام والمسلمين وبخاصة في مجال الاقتصاد. بينما نجح اليهود وأنصار إسرائيل في الإفادة من أموالهم وتبرعاتهم.

ولما كان كريمر وكتابه (أبراج عاجية) هو الشرارة في الهجوم على دراسات الشرق الأوسط فقد نال نصيباً كبيراً من النقد والتعليق من عدد كبير من الباحثين والكتاب ومن هؤلاء على سبيل المثال إف جريجوري جوز الثالث الذي كتب في مجلة شؤون خارجية **Foreign Affairs** مقدماً نقداً تفصيلياً للكتاب من النواحي المنهجية، وأن كريمر قدم كثيراً من الدعاوي دون أن يقدم الدليل المقنع لها، فقد اتهم الباحثين في دراسات الشرق الأوسط بإهمال قضايا حساسة تهم الأمن القومي الأمريكيين مع أن هذه الدراسات موجودة ومن حقّه أن يختلف مع نتائجها ومن هذه الدراسات دراسة مأمون فندي (السعودية وسياسات التمرد).

وقد بالغ كريمر في ادعاء تأثير إدوارد سعيد في حقل دراسات الشرق الأوسط مع أن كتاب سعيد قد صدر قبل أكثر من عقدين من الزمن ونال كثيراً من النقد والجدال في حينها وأن عهد الاستشراق قد ولّى فعلاً، وأنه لا أحد يتصالح أو يمتدح الحركات الإسلامية أو الإسلام السياسي فقط حتى لا يتهم بأنه "مستشرق".(٤٨)

ويمكننا أن نضيف هنا أنه بالرغم من أهمية ما كتبه إدوارد سعيد لكن سبقه عدد من العلماء الرواد الذين كتبوا عن الاستشراق بفهم ووعي عميقين من أمثال الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله وأحمد اسمايلوفتش وغيرهما، كما أن قسماً علمياً قد أنشئ في المدينة المنورة لدراسة الاستشراق وأنجز العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه في هذا المجال المهم. ونقد إدوارد سعيد توجه إلى فلسفة الاستشراق ولكنه لم يناقش مسائل كثيرة في الاستشراق ولم يعمل في أقسام دراسات الشرق الأوسط أو أقسام دراسات الأديان أو الدراسات العربية الإسلامية التي يمكن مناقشتها من خلال الأشخاص القائمين بالتدريس فيها وخلفياتهم الفكرية والعقدية والثقافية أو مناقشة المناهج الدراسية أو النشاطات غير المنهجية أو الندوات والمؤتمرات أو رسائل الماجستير والدكتوراه التي يعدها الطلاب العرب والمسلمون في الجامعات الغربية وبخاصة في أقسام دراسات الشرق الأوسط.

ويختم جوز الثالث مقالته بالتأكيد على أن البناء الهيكلي لدراسة المنطقة من الناحية التاريخية والثقافية والسياسية هو أمر واقع، وقد لا يعجب كريمر آراء العاملين في هذا المجال ولكن

الطلاب يتلقون تعليماً بعيداً عن التعليم الدعائي (البرابقندا) وهو تعليم يساعدهم على أن يفكروا لأنفسهم. ولا يمكن زيادة الفرص لتوسيع تعليم اللغات إلا بزيادة الدعم الفيدرالي وهو الأمر الذي سيساعدهم على أن يكونوا أشخاصاً عالمين بمجالهم وملاحظين جيدين.(٤٩)

ونظراً لخطورة التحركات المعادية لدراسات الشرق الأوسط أو المنادية بالسيطرة على هذه الدراسات واتخاذ الحكومة قرارات وإصدار مراسم معينة فقد ظهرت العديد من الكتابات في شكل كتب مؤلفة من قبل عدة أشخاص أو من خلال مقالات وبحوث منوعة. ومن الأمثلة على الكتب التي تناقش قضية المرسوم الأمريكي الحكومي HR٣٠٧٧ الذي يدعو إلى إنشاء مجلس استشاري للدراسات العليا الدولية وإعطائه سلطة مراقبة وتقويم ومتابعة نماذج من النشاطات التي تمول من خلال المادة السادسة، كتاب بعنوان الحرية الأكاديمية بعد الحادي عشر من سبتمبر، والكتاب مجموعة من البحوث والمقالات أعدها للنشر بشارة دوماني أستاذ في قسم التاريخ بجامعة بيركلي بكاليفورنيا. ويناقش الكتاب الحرية الأكاديمية وأهميتها من الناحية النظرية والعملية، كما يناقش ما تعرضت له دراسات الشرق الأوسط من ضغوط وتهديدات بعد الحادي عشر من سبتمبر ومناقشة بعض الكتابات حول الحرية الأكاديمية لبعض الباحثين البارزين، كما تضمن الكتاب ملحقات بأهم القرارات والأنظمة وغيرها ذات العلاقة بالموضوع.(٥٠)

وربما كان من آخر الكتابات التي تناولت هذا الهجوم على دراسات الشرق الأوسط افتتاحية مجلة ***The Nation*** في السادس عشر من شهر مارس ٢٠٠٥م حيث كتبت حول منع طارق رمضان من دخول الولايات المتحدة لإلقاء عدد من المحاضرات بينما "تلقى آخرون التهديدات بالقتل أو واجهوا مخاطر تشويه سمعتهم، والذين يقودون مثل هذه الحملات من العناصر اليمينية المتطرفة هم من أمثال:دانيال بايبس، مارتن كريمر، تشارلز جاكوب وديفيد هوروتز، وما برح هؤلاء يطالبون بإجراءات قمعية بهدف إنهاء الحرية الأكاديمية التي يتظاهرون بأنهم من حماتها والمدافعين عنها."(٥١) كما تحدثت المقالة عمّا حدث في جامعة كولمبيا من اتهام ثلاثة من الأساتذة ذوي الأصول الشرق أوسطية وبخاصة الدكتور رشيد خالدي وهو أمريكي من أصل فلسطيني ، ويخلص الكاتب إلى أن هذه المعركة ليست معركة بين الأساتذة العرب والطلاب اليهود ولكنها معركة بين أنصار وخصوم الحرية الأكاديمية.....إلى أن يقول:" والمكارثية الجديدة لها نفس ملامح المكارثية القديمة ، وهي تهديد بالقتل وبث الإشاعات الكاذبة."(٥٢)

الخاتمة

من المؤكد أن دراسات الشرق الأوسط قد تأثرت بأحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، وأن هجوماً كبيراً قد نال عدداً من أساتذة دراسات الشرق الأوسط، وتعرضوا لحرب سافرة تهدد أمنهم واستقرارهم وتمتعهم بالحرية في البحث، بل تهدد وجودهم. وبالرغم من أن السيطرة الصهيونية على أقسام دراسات الشرق الأوسط ليست وليدة اليوم فقد عُرف عن الأموال الصهيونية والجمعيات والمؤسسات ودورها في السيطرة على هذه الدراسات، لكن الهجوم عليها الآن أقوى من أي وقت مضى. ولعل الخطورة ليست في النقاش الفكري الذي يعد أمراً صحياً ولكن المصيبة أن تفقد هذه الدراسات حريتها الحقيقية وتصبح الولايات المتحدة الأمريكية شبيهة بدول العالم الثالث أو دول العالم "غير الحر" كما أحبوا أن يصفونا زمناً طويلاً. وبالتالي نصبح نحن وهم (في الهم شرق).

ولما كانت هذه الدراسات حولنا في العالم العربي الإسلامي فعلينا أن نشارك في صد هذه الهجمات على هذا الفرع المعرفي المهم، ولكن لا بد من إعداد دراسات موسعة عن هذه القضية وتفاصيلها ولا بد لنا من باحثين مطلعين على حقيقة دراسات الشرق الأوسط في الجامعات الأمريكية.

ويمكننا بهذا الصدد أن نقدم بعض التوصيات ومنها:

١- تعزيز التعاون بين الجامعات العربية والإسلامية يسمح بإيفاد باحثين عرب ومسلمين للدراسة والتدريس في أقسام دراسات الشرق الأوسط ومراكز البحوث والمعاهد المتخصصة في دراسات العالم الإسلامي.

٢- الإفادة الحقيقية من منح فلبرايت وإنشاء منح مقابلة عربية إسلامية لإرسال باحثين عرب مسلمين يقدمون الإسلام بصورة حقيقية وصحيحة، وكذلك إتاحة الفرصة لباحثين غربيين للدراسة عندنا بعد إعادة النظر لدينا في طريقة تسجيل الرسائل والإشراف عليها.

٣- العمل على إنهاء حالة الغياب المستمرة للباحثين العرب والمسلمين في الندوات والمؤتمرات وألاّ يكون هذا الحضور فرصة للمجاملات، فيحضرها أصحاب الكفاءات العالية في تخصصاتهم يرفعون رؤوسنا ويفيدون حقاً من الحضور، ولا أن يكونوا ممن لا يفيدنا بل ربما كان ضرره أكبر من نفعه.

٤- تفعيل الاتفاقيات التي عقدتها الجامعات العربية والإسلامية مع الجامعات الأمريكية وجعلها عمليـــة أكـــثر في توضيح صورة الإسلام والمسلمين، وكذلك للتعرف بأسلوب علمي وموضوعي على الغرب من الداخل.

المراجع العربية

- أحمد خضر إبراهيم. "الإسلام والكونجرس" في مجلة المجتمع، الأعداد من ٩١٤-٩٧٣ في الفترة من ٢٠ رمضان ١٤٠٩- ١٨ ذي الحجة ١٤١٠هـــ(٢٥ إبريل ١٩٨٩حتى ١٠ يوليو ١٩٨٩م.

- أحمد بن يوسف، الصحوة الإسلامية في منظار الغرب: الإسلام السياسي وتحولات الفكر المعاصر، إنديانا: رابطة الشباب العربي المسلم، سلسلة البحوث والدراسات عام ١٩٨٨م.

- إدوارد سعيد. "الاستشراق والصهيونية" في مجلة المجلة ، العدد ٤٠٨، ديسمبر ٢-٨، ١٩٨٧م.

- -إدوارد ســـعيد . تعقيبات على الاستشراق، ترجمة وتحرير صبحي حديدي (عمّان: دار الفارس، ١٩٩٦م)

- بـــول فندلي، من يجرؤ على الكلام؟ اللوبي الصهيوني وسياسيات أمريكا الداخلية والخارجية، ط٢ (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٤٠٥هـــ-١٩٨٥م)،

-تومـــاس و. ليـــبمان، جماعـــات الإسلام السياسي: رؤية أمريكية وثائقية، ترجمة رفعت سيد أحمد وطلعت غنيم حسن، (القاهرة: يافا للدراسات والنشر، ١٩٨٩م) ص ١١.

- حسن عزوزي. "ظاهرة الاستشراق الصحافي" في المسلمون، عدد ٥١٠، ٨جمادى الآخرة ١٤١٥ هـــ(١/١١/١٩٩٤م).

- خيري منصور، "عودة الاستشراق على طائرات ب ٥٢"، القدس العربي ٢/١٢/٢٠٠١م.

- عادل عوض، "تشيني يستفهم عن الشرق الأوسط من فؤاد عجمي وبرنارد لويس"، القدس العربي ٢/٩/٢٠٠٢م.

- لجنة الدراسات الشرقية المنبثقة عن ندوة الشباب الإسلامي في طرابلس- ليبيا ١٩٧٣م، وتم تحديثه عام ١٩٧٥م، "تحليل نقدي للدراسات الإسلامية في جامعات أمريكا الشمالية" بحوث في الاستشراق الأمريكي المعاصر. ترجمه عن الإنجليزية مازن مطبقاني،وراجعه د.علي النملة.(جدة: المؤلف،١٤٢٠هـــ ٢٠٠٠م)..

- مـــارتن كريمر وليزا أندرسون. "دراسات الشرق الأوسط: أين كان الخطأ؟" في متابعة سياسية رقم ٦٩١ في ٢٠٠٢/١٢/١٦م معهـــد واشـــنطن لسياسة الشرق الأوسط. في موقع مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية.

- مازن مطبقاني. "منهجية التعاون العلمي بين الجامعات العربية والغربية بين الواقع والمثال" في المنهجية الغربـــية في العلوم الإنسانية والاجتماعية عن البلاد العربية وتركيا، (تونس: مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ١٩٩٦م) ص ٢٨١-٢٩٠

- مازن مطبقاني"من قضايا الدراسات العربية والإسلامية في الغرب" في كتاب الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام. (الرياض: دار إشبيليا، ١٤٢١هـــ/٢٠٠٠م).

-مازن مطبقاني."لماذا يخوفون الغرب بالإسلام؟"في المسلمون، العدد٣٠٧، ٤جمادى الآخرة١٤١١هـــ/ ٢١ ديسمبر ١٩٩٠م.

- محمد خضر وعصام مدير "ندوة حول تدريس الإسلام والأديان في الجامعات الأمريكية" في المدينة المنورة، عدد ١٣٣٧٢، ٢١ شعبان ١٤٢٠هـــ (٢٩ نوفمبر ١٩٩٩م)

المراجع الأجنبية

- Benin, Joel. "Presidential Address, MESA 2002.
www.fp.arizona.edu/mesaassoc/Bulletin/Pres/addresses/Beinin

Beinin, Joel. "The new American McCarthyism: Policing thought about the Middle East".In
www.rac.sagepub.com/cgi/content/refs/46/1/101

- Cole, Juan. " Why are arch Conservatives Ganging up on the Middle East Studies Association?" www.hnn.us/articles/1218html.

- Cooke, Miriam. "Contesting Campus Watch: Middle East Studies under fire, The Academy and democracy at risk." In
http://www.arabworldbooks.com/Articles/article54.htm

- Dallal, Shaw J. "Islam and the U.S. National Interest" in the *Link*, Vol. 26, No. 1, February –March 1993.

- Dekmijian, Richard Hrir. *Islam in Revolution: Fundamentalism in the Arab World.(New York: Syracuse University Press1985)*
- El-Affendi, Abdel Wahab, "Orientalism is Alive and Well in Iraq" in *Daily Star.*(Beirut) Oct.20,2003.www.dailystar.com.lb/opinion/20_20_03_b.asp taken from the site: www.campus-watch.org
- Elbendary, Amina. "Not All Academic". In *Al-Ahram.* Issue No. 608
- Jacobson, Charles and Avi Goldwasser, In Defense of The David Project. In *Columbia Spectator* November 16, 2004. Appeared in www.campus-watch.org
- Jacobson, Jennifer. "The clash over Middle East Studies .in *Chronicle of Higher Education,* February 6, 2004. www.chronicle.com/pm/weekly/v50/22-00801htm
- Kramer, Martin. "Introduction to his book ivory *Towers on Sand"*
- Kristine McNeil. "The War on Academic Freedom" in *The Nation,* posted online November 11, 2002. www.thenation.com/doc/20021125/mcneil.
- Lewis, Bernard. "Western Civilization: A view from the East" *19th Thomas Jefferson Lecture in the Humanities.* Sponsored by The National Endowments for the Humanities. May 2, 1990.
- Lewis, Bernard. "The Roots of Muslim Rage." In *The Atlantic Monthly*; September 1990; Volume 266, No. 3; pages 47 - 60. =
- Lewis, Bernard. *The Middle East and The West* (Bloomington: Indiana University Press, 1964)

- Senior, Jennifer. "Columbia's own Middle East War".
www.newyorkmetro/urban/education/feature/10868/index.htm
- Sorokin, Ellen." Biased professors posted on Web site." In *Washington Times, October 6, 2002.*
www.washingtontimes.com/national/20021006-11854012.htm.
www.israeloncampuscoalition.org/aboutus/members/affiliates/davidproject.html

الهوامش:

١- المدير السابق لمركز موشيه ديان لدراسات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بتل أبيب، وكتابه Ivory Towers on Sand صدر بعد أشهر من أحداث الحادي عشر من سبتمبر بدعم من مركز واشنطن لسياسات الشرق الأدنى Washington Institute for Near East Policy

٢- خيري منصور "عودة الاستشراق على طائرات ب ٥٢"، القدس العربي ٢/١٢/٢٠٠١م.

٣- عادل عوض، "تشيني يستفهم عن الشرق الأوسط من فؤاد عجمي وبرنارد لويس"، القدس العربي ٢/٩/ ٢٠٠٢م.

٤-"من قضايا الدراسات العربية والإسلامية في الغرب" في كتاب الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام. (الرياض: دار إشبيليا، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ص ٥٥-٨٦.

٥- لجنة الدراسات الشرقية المنبثقة عن ندوة الشباب الإسلامي في طرابلس – ليبيا ١٩٧٣ م، وتم تحديثه عام ١٩٧٥م، "تحليل نقدي للدراسات الإسلامية في جامعات أمريكا الشمالية." بحوث في الاستشراق الأمريكي المعاصر. ترجمه عن الإنجليزية مازن مطبقاني، وراجعه د. علي النملة. (جدة: المؤلف، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

٦ - Kristine McNeil, "The War on Academic Freedom" in *The Nation,* November 11, 2002.

٧- إدوارد سعيد. "الاستشراق والصهيونية" في مجلة المجلة ، العدد ٤٠٨، ديسمبر ٢-٨، ١٩٨٧م.

٨- بول فندلي، من يجرؤ على الكلام؟ اللوبي الصهيوني وسياسيات أمريكا الداخلية والخارجية، ط٢(بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، الفصل السابع والثامن الصفحات ص٣٥٣-٣٩٠.

٩-توماس و. ليبمان، جماعات الإسلام السياسي: رؤية أمريكية وثائقية، ترجمة رفعت سيد أحمد وطلعت غنيم سن ، (القاهرة: يا فا للدراسات والنشر ، ٤٨٩ م)ص ١١ .١١. وليبمان باحث وصحفي أمريكي،

عمل مراسلاً- سخارجياً لصحيفة الواشنطن بوست، كما عمل في مجلس العلاقات الخارجية بنيويورك. أما كاتب المقدمة بيك مدير برامج معهد الشرق الأوسط، ورئيس هيئة القرن الإسلامي الرابع عشر، وهي منظمة قومية أمريكية لا تهدف للربح، كما عمل محللاً لشؤون شبه الجزيرة العربية في وزارة الخارجية الأمريكية(عن الترجمة ص ١٢).

١٠ -Richard Hrir Dekmijian. *Islam in Revolution: Fundamentalism in the Arab World.(New York: Syracuse University Press1985)*(. ترجمه إلى العربية عبد الوارث سعيد في طبعته الأولى التي ظهرت عام ١٩٨٥، ولكن ظهر للكتاب طبعة ثانية عام ١٩٩٦ م وقد بحث فيها المؤلف في أكثر من مائة جماعة إسلامية

١١- أحمد حضر إبراهيم. "الإسلام والكونجرس" في مجلة المجتمع، الأعداد من ٩١٤-٩٧٣ في الفترة من ٢٠ رمضان ١٤٠٩- ١٨ ذي الحجة ١٤١٠هـ(٢٥ إبريل ١٩٨٩حتى ١٠ يوليو ١٩٨٩م.

١٢-انظر أحمد بن يوسف، الصحوة الإسلامية في منظار الغرب: الإسلام السياسي وتحولات الفكر المعاصر، إنديانا: رابطة الشباب العربي المسلم، سلسلة البحوث والدراسات عام ١٩٨٨م.

١٣- مازن مطبقاني." لماذا يخوفون الغرب بالإسلام؟" في المسلمون، العدد ٣٠٧، ٤ جمادى الآخرة ١٤١١ هـ/٢١ ديسمبر ١٩٩٠م.

١٤- حسن عروزي. "ظاهرة الاستشراق الصحافي" في المسلمون، عدد ٥١٠، ٨جمادى الآخرة ١٤١٥هـ (١/١١/١٩٩٤م).

١٥ - Bernard Lewis. "Western Civilization: A view from the East" *19th Thomas Jefferson Lecture in the Humanities*. Sponsored by The National Endowments for the Humanities. May 2, 1990.

١٦- Bernard Lewis. "The Roots of Muslim Rage." In *The Atlantic Monthly*; September 1990; Volume 266, No. 3; pages 47 - 60. =

قال لويس في كتابه الشرق الأوسط والغرب (النسخة الإنجليزية The Middle East and The West (Bloomington: Indiana University Press,1964) (١٩٦٤م) في الصفحة١٣٥ : "سيكون فهمنا أفضل للوضع (بين الإسلام والغرب) إذا نظرنا إلى حالات عدم الرضى في الشرق الأوسط بأنها ليست صراعاً بين دول أو قوميات، ولكن على أنها صراع بين حضارات."

١٧- مازن مطبقاني. "منهجية التعاون العلمي بين الجامعات العربية والغربية بين الواقع والمثال" في المنهجية الغربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية عن البلاد العربية وتركيا، (تونس: مؤسسة التميمي للبحث العلمي

والمعلومات، ١٩٩٦م) ص ٢٨١-٢٩٠ وانظر كذلك كتاب إدوارد سعيد . تعقيبات على الاستشراق، ترجمة وتحرير صبحي حديدي (عمّان: دار الفارس، ١٩٩٦م)

١٨- محمد خضر وعصام مدير "ندوة حول تدريس الإسلام والأديان في الجامعات الأمريكية" في المدينة المنورة عدد ١٣٣٧٢، ٢١ شعبان ١٤٢٠هـ(٢٩ نوفمبر ١٩٩٩م)

١٩- Shaw J. Dallal. "Islam and the U.S. National Interest" in the *Link,* Vol. 26, No. 1, February –March 1993. pp 1-3 quoting Daniel Pipes in *The Wall Street Journal* .October 30, 1992.

٢٠ - Martin Kramer. "Introduction to his book ivory *Towers on Sand" can be found in www.*

٢١- باحث إسرائيل يحمل الجنسية الأمريكية أيضاً، أحد تلاميذ برنارد لويس في مرحلة الدكتوراه، عمل مديراً لمعهد موشيه ديان لدراسات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا التابع لجامعة تل أبيب في إسرائيل. وانتقل للعمل في معهد سياسات الشرق الأدنى في واشنطن.

٢٢- Martin Kramer, *Ivory Towers on Sand: Dissent*

٢٣- Martin Kramer. *Ivory Towers on Sand*. Op.cit., chapter Said's Splash. www.geocities.com/martinkramerorg/SaidSplash.htm

٢٤- أستاذة كرسي جيمس شوتول للشؤون الدولية بمعهد الشؤون الدولية والشؤون العامة بجامعة كولمبيا. وهي من أبرز المتخصصين في الشرق الأوسط لها عدة مؤلفات منها كتاب عن تونس وليبيا من منشورات جامعة برنستون.

٢٥- مارتن كريمر وليزا أندرسون. "دراسات الشرق الأوسط: أين كان الخطأ؟" في متابعة سياسية رقم ٦٩١ في ٢٠٠٢/١٢/١٦م معهد واشنطن لسياسة الشرق الأوسط. ، مركز واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، في موقع مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية.
.www.asharqalarabi.org.uk/cengter/mutabaat-ayna.htm

٢٦- المرجع نفسه.

٢٧http://www.campus-watch.org/-

٢٨ - Ellen Sorokin." Biased professors posted on Web site." In *Washington Times, October 6, 2002.*
www.washingtontimes.com/national/20021006-11854012.htm ٧ربيع الأول ١٤٢٥هـ.

٢٩ - Dobbs, Op.cit.,

1-Abdel Wahab El-Affendi."Orientalism is Alive and Well in Iraq" in *Daily Star.* (Beirut)
Oct.20,2003.www.dailystar.com.lb/opinion/20_20_03_b.asp taken from the site: www.campus-watch.org -

٣١-
http://israeloncampuscoalition.org/aboutus/members/affiliates/davidproject.htm.

٣٢ - Charles Jacobos and Avi Goldwasser, In Defense of The David Project. In *Columbia Spectator* November 16, 2004. appeared in www.campus-watch.org

٣٣ -Jennifer Senior "Columbia's own Middle East War".
www.newyorkmetro/urban/education/feature/10868/index.htm

2- Kristine McNeil. "The War on Academic Freedom" in *The Nation,* posted online November 11, 2002.
www.thenation.com/doc/20021125/mcneil.

٣٥- التعريف بالمؤسسة في موقعهم .
http://www.goacta.org/about_acta/mission.html

١-Joel Benin. "Presidential Address, MESA ٢٠٠٢.
www.fp.arizona.edu/mesaassoc/Bulletin/Pres/addresses/Beinin

2- Ibid.

٣٨- Beinin, Op. Cit.,

٣٩- Juan Cole. " Why are arch Conservatives Ganging up on the Middle East Studies Association?"
www.hnn.us/articles/1218html.

٤٠ -Miriam Cooke. "Contesting Campus Watch: Middle East Studies under fire, The Academy and democracy at risk." In
http://www.arabworldbooks.com/Articles/article54.htm

1- Ibid.

٤٢ - Joel Beinin. "The new American McCarthyism: Policing thought about the Middle East". In
www.rac.sagepub.com/cgi/content/refs/46/1/101 and also

www.arabamerican.net/Projects/Civil_Rights___/DCRA/Resources/body_resources.html

٤٣ - Jennifer Jacobson. "The clash over Middle East Studies .in *Chronicle of Higher Education,* February 6,2004. www.chronicle.com/pm/weekly/v50/22-00801htm

١-Amina Elbendary. "Not All Academic" in *Al-Ahram.* Issue No. ٦٠٨

٤٥- Kristine McNeil. Op. Cit.,

٤٦ -Zachary Lockman. "Behind the Battles Over US Middle East Studies. In *MERIP*, January 2004. www.merip.org/mero/interventions/lockman_interv.html.

ولوكمـــان هو أستاذ دراسات الشرق الأوسط الحديث في جامعة نيويورك وهو الآن رئيس معهد كيفوكيان لدراســـات الشـــرق الأوســـط بالجامعة نفســـها، وهذه المقالة جزء من كتاب لـــه بعنوان تاريخ الاستشراق وسياســـاته ودراســـات الشـــرق الأوسط من المفروض أن يصدر عن دار نشر جامعة كمبريدج ببريطانيا عام ٢٠٠٤م.

٤٧ -Ibid.

٤٨ -F. Gregory Gause III ."Who lost The Middle East". In *Foreign Affairs.* March/ April 2002l

٤٩ - F, Gause, Op. Cit.,

٥٠- موقـــع المجلـــس الوطني للعرب الأمريكيين www.arab-american.net. والموضوع تحت عنوان (كتب)

٥١- افتتاحية بمجلة الأمة *The Nation* في ١٦ مارس ٢٠٠٥م. نقلاً عن موقع إسلام ديلي www.IslamDaily.net

٥٢- المرجع نفسه .